مقدمة

يمكن دخول المنطقة من المغرب او موريتانيا حيث تتسع الحدود معها، او بواسطة ممر ضيق من الجزائر ! وعن طريق البحر بواسطة السفن ، وهذا بالطبع يحتاج الى تاشيرة دخول اسبانية مثلما كان الانكليز يعطون تاشيرتهم لمن يود زيارة « محمية عدن » ابان الاحتلال !

ويعتقد البعض ان تسمية المنطقة باسم الساقية الحمراء يعود الى وجود نهر يمتد من جهة الشمال ذي تربة طينية حمراء اللون ، وعلى مقربة منه كانت تسكن القبائل العربية او تمر قوافلها على امتداده كي تكون قريبة من مصادر المياه .

وتاريخيا لم تكن المنطقة ذات اهمية ستراتيجية كما هي عليه الان ، حيث تحظى باهتمام عدد غير قليل من الدول الكبرى ولاكثر من سبب ، ومن هنا يتضح ان اية اشارة للمنطقة تتجاهل كليا سكانها لا من بعيد ولا من قريب ..

الموقع الستراتيجي للمنطقة واهميته بالنسبة للامبريالية

تقع منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب على المحيط الاطلسي وتشكل شريطا يمتد جنوبا بطول ١٥٠٠ كلم وتتالف من اقليمين هما الساقية الحمراء وعاصمته مدينة « العيون »، ونهر الذهب عاصمته مدينة « الداخلة » ويحدها من الشمال المغرب ومن الشمال الشرقي الجزائر، ومن الجنوب والجنوب الشرقي موريتانيا ، وغربا يحدها المحيط الاطلسي ، وتقدر مساحتها ب ٢٨٥ الف كلم مربع ، واختار الاسبان مدينة العيون العاصمة رسميا . عدد السكان حوالي ربع مليون تقريبا (حسب التقديرات العربية) يضاف لهم ٥٠ الف مستوطن اسباني ، والاف اخرى متعددة الجنسيات ، اما المصادر الاسبانية فتدعي ان سكان الصحراء لا يتجاوزون ٥٠ الفا من البدو الرحل الذين يصعب احصاءهم، وتضيف هذه المصادر ان هذا العدد ربما يكون اقل بسبب هجرتهم الى الدول المجاورة !

تواجه الساقية الحمراء ووادي الذهب جزء الكناريا الاسبانية الستراتيجية (وهي تعد اقدم مستعمرة اسبانية) حيث تشكل معها موقعا ستراتيجيا يكمل السلسلة الممتدة من الخليج والبحر الاحمر ثم المتوسط حتى المحيط الاطلسي وبواسطتها يمكن حصر تحركات الشعوب في غرب وشمال افريقيا ، وهي بذلك تشكل قاعدة مهمة للامبريالية الاميركية هناك، خاصة اذا علمنا انه توجد قواعد اميركية في اسبانيا والمغرب والجزر الاخرى ...

ولكن هل الموقع الستراتيجي هو السبب الذي من اجله اصبح الاسبان يتشبثون بالمنطقة بدعم من الاميركان في ظل العلاقات العالمية الجديدة ؟ في الحقيقة ان السبب الاكثر اهمية بالنسبة للمصالح الاستعمارية ، هو وجود الثروات المعدنية والطبيعية الكثيرة التي تدر بلايينها عليهم !..

نبذة عن تاريخ المنطقة ومجتمعها

ليست هناك دراسة تاريخية تفصيلية عن المنطقة ، ولكن ورد في بعض الدراسات ورحلات البحاثة ان المنطقة اشتهرت بموقعها الجغرافي على الحيط الاطلسي كمحطة تجارية حيث كانت تجوب شواطئها السفن البرتغالية عام ١٦٦٧ المتاجرة بالرقيق من افريقيا فجعلوا من مدينة « الداخلة » والتي كانوا يسمونها («باخطة») مركزا لهم، وكذلك استخدمتها الاساطيل التجارية الانكليزية فشاركوا البرتغاليين فيها حتى وصول الاسبان اليها في بداية القرن التاسع عشر فانفردوا بها بعد طرد البرتغاليين والانكليز معا في منتصف ذلك القرن .

سكنت المنطقة قبائل من اصل عربي ، سماها الفرنسيون « الرجال الملثمين » لباسهم ، وهذه التسمية كلقب يطلقه المستعمرون عادة على سكان الثوار العمانيين في الجبل الاخضر في الخمسينات !

مغزى تسمية المنطقة بالصحراء الاسبانية .

« يطلق الاسبان على منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب اسم الصحراء الاسبانية » ويبررون ذلك، بان المنطقة اسبانية اولا وصحراوية ثانيا ! والهدف من هذه التسمية الاستعمارية الواضحة ، ترسيخ ذلك تاريخيا ليسهل نزع الصفة العربية عنها ، وتشاركهم في هذه التسمية كل اجهزة الاعلام الاجنبية بالطبع وبعض اجهزة الاعلام العربية ايضا وبالاسف!! وهذه التسمية شبيهة بالاصرار الايراني العجيب على تسمية الخليج العربي « الفارسي » وترسيخ ذلك باية صورة كانت ، حتى اصبحت اجهزة الاعلام العربية الرسمية محرجة جدا في اتخاذ اي من هاتين التسميتين وتضطر الى حذف كلمة العربي من قاموسها السياسي والاعلامي ، وهكذا فقي الخليج من دون صفة !

وفي الحقيقة ان القسم الاكبر من المنطقة صحراوي تتواجد فيها كثبان رملية ، ولكن فيها ايضا مناطق جبلية كاملة مثل جبال « الرغيدة » و« جبال « قرب الهوا » كما توجد فيها مرتفعات جبلية قليلة في الجنوب والشمال .

الاصل القبلي للسكان

تعود اصول القبائل العربية الساكنة في المنطقة الى الجزيرة العربية من حيث امتدت مع الفتوحات الاسلامية لشمال افريقيا واستوطنت هناك ، ومنها جاءت من المغرب وموريتانيا ، وان قسما منها اتى من الجزائر ... واهم القبائل هي « الرقيبات » وتعد من اكبرها وينتشر افرادها على حدود المغرب وموريتانيا ، ثم تاتي بعدها قبائل « اولاد دبم » و « تكنا » ثم « الدرقية » ، « توبالت العروسيين » ، « الشيخ ماء العين » ، «فيلالة» « الزرقيين » ، « ايت لحسن يعوت » ، « اليعقوبية » ، « اولاد علي »، وهذه الاخيرة تنتمي اصولها الى نفس قبيلة اولاد علي الليبية .

ويتكلم السكان العربية المزوجة بلكنة محلية كما هي حال عرب شمالي افريقيا . ولهجتهم تسمى « الحسانية » .

الوضع الاجتماعي والاقتصادي

تتالف كل قبيلة من هذه القبائل مجتمعا قائما بذاته له نظمه القبلية الخاصة بحكم طبيعة الحياة البدوية التي تحقق اكتفاء شبه ذاتي نتيجة العلاقات الاقتصادية البسيطة السائدة هناك .

وعلى الرغم من كل التقلبات التي رافقت دخول المستعمرين الاسبان، ولم الاحتكارات العالمية قبل ربع قرن من خلال منشاتها الاقتصادية ، لم يحدث اي تغيير جوهري في طبيعة الحياة الاجتماعية للسكان، فالاغلبية لا تزال محافظة على حياتها البدوية غير المستقرة ، وهذا يعود الى تجربة هذه القبائل التاريخية وعدم ثقتها بالاجنبي وبالتالي في عدم قيام علاقات اقتصادية او التعامل معه ، ولكن في المدة الاخيرة اخذ قسم قليل من سكان البلاد يعمل في مناجم الفوسفات والخدمات ... ونتيجة لهذه العزلة والاهمال المتعمد للسلطات الاسبانية فان اغلبية السكان لا تزال امية تقدر بنسبة ٩٥٪ .

ولا يوجد في المنطقة انتاج زراعي يذكر على الرغم من وجود الاراضي الصالحة والمياه الجوفية وبالاخص في جنوبي المنطقة ، وهذا الوضع ادى الى عدم تركز معيشة القبائل وبالتالي استقرارها في منطقة معينة ، اما المواشي فيمكن القول انها اندثرت تقريبا نتيجة لاستمرار القصف الاستعماري الوحشي في الفترة الممتدة من عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٥٩، ثم سنوات الجفاف التي اعقبت عام ١٩٦٧ وادت الى هلاك القسم الاكبر من الماشية . ولا توجد بشكل ظاهر سوى الابل لانها الحيوانات الوحيدة التي تستطيع مقاومة ظروف الجفاف في الصحراء ولكونها واسطة النقل الوحيدة لسكان المنطقة .

الثروات الموجودة سر تشبث اسبانيا بالمنطقة

واذا كانت منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب صحراوية فقط ، وسكانها من القبائل الرحل « المشاكسين » كما يدعي الاسبان لتركتها لمصالح الاسبانية منذ زمن ، ولكننا نعيش في عصر الاحتكار الصناعي ـ المالي العالمي الراكض وراء الربح وهو الذي يجعل اسبانيا تتشبث بالمنطقة لانها تحوي الكثير من الثروات المعدنية والطبيعية ، وهذا سر اهميتها الستراتيجية للاحتكارات العالمية !

واهم ثروة فيها حاليا هو الفوسفات ، الذي يعد من اجود انواع الفوسفات في العالم ولا يتطلب استخراجه سوى عمليات بسيطة رخيصة التكاليف من الناحية الفنية يضاف له رخص الايدي العاملة هناك . والفوسفات يستعمل كسماد مخصب للتربة ، الا انه لحد الان لم يستخدم اطلاقا في اخصاب التربة في المنطقة وقيام زراعة فيها !!

والمصادر الاسبانية تقدر الاحتياطي الموجود من هذه المادة حوالي مليار و٧٠٠ مليون طن ، اي ما يوازي ٩٠٪ من احتياطي العالم !

قصة اكتشاف الفوسفات واستغلاله

اكتشف الفوسفات بروفسور اسباني في جامعة مدريد اسمه مانويل مدينا عام ١٩٤٧ في المنطقة المحصورة بين نهري « بوكراع » و «ايتقي»، حيث تظهر الطبقات الفوسفاتية على سطح الارض مباشرة ، وسميت المناجم هناك بمناجم «بوكراع». وقد تم توظف كارتيل اسباني هو (اي.ان.آي.) بالاشتراك مع شركات اميركية وفرنسية وشركة كروب الالمانية الصناعية برأسمال قدره ١٥٠ مليون دولار في حينه ، حيث يجري العمل على حزام طوله مائة كيلومتر ومساحته ١٢٠ كيلومترا مربعا ، وهذا الحزام يصل المناجم الواقعة في «بوكراع» بمدينة العيون الواقعة على المحيط ومن ثم يشحن هناك الى دول العالم الغربي .

والمصادر الاسبانية تقول ان معدل الانتاج السنوي حاليا هو عشرة ملايين طن وان ثمن الطن الواحد ٦٠ دولارا امريكيا (هذا اذا افترضنا صحة الارقام الاسبانية المشكوك فيها اصلا) فان ما يصيب اسبانيا سنويا هو ٦٠٠ مليون دولار ، اي ان مخزون هذه الثروة وحده يشكل اكثر من مائة مليار دولار تقريبا ! وخلاصة الامر ان سيطرة اسبانيا على هذه المنطقة جعلها اكبر مصدر للفوسفات العربي في العالم ! ومن الثروات الاخرى المتوفرة في المنطقة والمكتشفة هي :

الحديد :

وقد بدا انتاجه في اواخر عام ١٩٤٨ بكميات محدودة ، ويوجد في منطقة « ازميلة » و « افراشة » ، ويقدر الخبراء في شركة « اطلس » الاحتكارية كمية الاحتياطي المتوفر منه ب ٧٠ مليون طن !

البترول :

واكتشفت كميات منه عام ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ في منطقة « ام ركبة » ولم